جامعة الجيلالي بونعامة

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة الفلسفة المقياس: فلسفة معاصرة

السنة الثالثة ليسانس السنة الأكاديمية:2026/2025

الأستاذ المسؤول عن المقياس: د.أ. بن رابح

a.benrabah@univ-dbkm.dz

المحاضرة الثالثة:

الفينومينولوجيا (La phénoménologie)

تنسب الفينومينولوجيا كفلسفة وكمنهج إلى الفيلسوف الألماني إيدموند هوسل (1859-1938)، وهو رياضي بالتكوين فيلسوف بالممارسة.

1) أهم مؤلفات هوسرل:

1- **فلسفة علم الحساب** (1891)،

2- **بحوث منطقية** 1900-1901. ترجمه إلى العربية موسى وهبة .

3- **الفلسفة علما دقيقا** (1911)، ترجمه إلى العربية محمود رجب، ويسمي المختصون في فلسفة هوسرل هذا الكتاب بـــ مقال اللوغوس، لأنه نشر في العدد الأول من مجلة " اللوغوس" سنة 1911، واعتبر بمثابة "الصخرة التي يقوم عليها كل تفكير هوسرل"[1]،

4- **أفكار: مقدمة عامة حول الفلسفة كظاهرية خالصة** (1913)، وقد قام بول ريكور الفيلسوف الفرنسي بترجمة هذا العلم الذي أخذ عنوانا أساسيا "أفكار" (*Ideen*)، والعنوان الكامل هو Ideen zu einer reinen Phänomenologie und phänomenologischen Philosophie, I.

5- **المنطق الصوري والمتعالي** (1926).

6- **تأملات ديكارتية** 1932. ويعتبر هوسرل هذا العمل بمثابة العمل الرئيسي كونه يؤسس للفينومينولوجيا المتعالية، ومضمون هذا العمل هو سلسلة من محاضرات قدمها هوسرل بجامعة

[1] انظر مقدمة المترجم للكتاب المعني، الإحالة رقم 2، ص 5.

السوربون في مدرج ديكارت سنة 1929، ونشرت يعد ترجمتها إلى الفرنسية سنة 1966. ولقد تضمنت هذه المحاضرات أهم تصورات هوسرل حول الفينومينولوجيا المتعالية.

7- **أزمة العلوم الأوروبية والظاهرية المتعالية** (1936)، ترجمه إلى العربية إسماعيل المصدق، 2008.

8- **التجربة والحكم**، صدر بعد وفاته (1939).

2) أهم منابع فلسفة هوسرل:

رغم تكوينه الرياضي الرياضي-المنطقي لقد أبدى هوسرل اهتماما بالغا بالفلسفة وساهم في ذلك قراءاته لأهم ما احتوى عليه التراث الفلسفي الغربي منذ العصر اليوناني.

أ) المذهب الشكي القديم (Le scepticisme ancien):

إن مفردة "شك" وفي اليونانية (skeptiko) تعني من يفحص أدخلت من طرف الفيلسوف فيرون الأيلي (Pyrrhon) (325-275) ق- م وكان معاصرا للإسكندر الأكبر وكان تلميذه تيمون الفيليوسي(Timon de Phlionte (325-235) ق.م وهو تلميذ كبير الشكاك اليونانيين فيرون الأيلوسي ، وقد عرفت المدرسة كسوفا فيما بعد ولم تظهر من جديد إلا في القرن الثالث الميلادي خاصة مع مجيء سيكستوس أمبيريقوس (250-200) م الذي عرف الشكية بأنه ملكة معارضة الظواهر بكل الطرق المكنة، من هنا نصل بسبب تعارض الأشياء والمبررات المناقضة، فنقف عند تعليق الحكم (Kausman, 1993,p 61)[2]، وتعليق الحكم هو الإيبوخي الذي سيصبح تصورا أساسيا في ظواهرية هوسرل، ومن يمارس تعليق الحكم في نظر سيكستوس يعني فيلسوف الإحراج والحيرة والحل غير الموجود. ومن هنا يعطي الشكيون أهمية كبيرة للظاهرة بالطريقة التي شرحت أعلاه، فالظاهرة حيثما كانت تغلب على كل شيء، وهذه الفكرة الرئيسية أخذت من أناكزاقوراس[3] الذي قال : "الظواهر هي رؤية ما يبقى مخفيا"، وهكذا في رأيهم فإن المرئي يخفي الواقع الذي يبقى مخفيا أو غير مرئي (Le visible dissimule le réel qui demeure invisible)، فلا وجود لحقيقة مطلقة إذن، ولا وجود لعلم يخضع لحواس، فتعليق الحكم أو الإيبوخي تعني ظهور فلسفة نسبية لا تعترف بالمطلق.

ب) **فلسفة أفلاطون**: يعتبر أفلاطون واحدا من كبار الفلاسفة الذين تأثر بهم هوسرل والسبب في ذلك حسب بعض المختصين جان فال (Jean Val)'وعبد الرحمن بدوي)[4] أنّ المشروع الفلسفي لأفلاطون تمثل في الوصول إلى علم كلي يشمل جميع الموجودات ونفس الهدف حرك مشروع هوسرل كونه أراد أن تكون *الفينومينولوجيا علما كليا يمتاز بالدقة التي تمتاز بها العلوم* الأخرى، ومن هنا كان التمييز بين عالم مثالي وعالم واقعي محسوس عند أفلاطون له صورة أخرى عند هوسرل، ذلك أنّ الماهية أي الحقيقة الثابتة موجودة في علم

---

[2] نقلا عن Jean Vion-Dury. La Naissance de la phénoménologie. 2023. ffhal-04201800f

[3] cité par Dumont, 2019

[4] سماح رافع محمد، الفينومينولوجيا عند هوسرل، دراسة نقدية في التجديد الفلسفي المعاصر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1991، ص 28

مثالي مفارق بينما عند هوسرل فالماهية ليت مفارقة بل موجودة في ذلك الاتصال بين الذات العارفة وهي تتوجه إلى الموضوع.

ج) **الفلاسفة المحدثين**:

1) **ديكارت**: إن التأثير الذي مارسته فلسفة ديكارت على هوسرل بيّن من خلال كتاب **تأملات ديكارتية** (1932) الذي يشكل واحدا من أهم مؤلفات هوسرل، فالدراسة المعمقة التي أخذها الكوجيتو والتجديد الذي خضع له من طرف هوسرل يبيّن بوضوح مدى تأثير الديكارتية على هوسرل، لكن هذا الكوجيتو لا يتركه هوسرل على حاله، فمن خلال "القصدية" لابد أن يكون التفكير دائما تفكيرا في **موضوع ما** ولا وجود لتفكير خالص بدون موضوع. إضافة إلى هذا التشابه فإن الفينومينولوجيا ستتميز بكونها من جهة علما دقيقا من حيث أن هذا مشروع هوسرل، ومن جهة ثانية فهي منهج يوصل إلى الحقيقة. كما كان الشك الديكارتي هو الجانب الآخر الذي سيركز عليه هوسرل، وعلى أساسه يتوجه النقد إلى الفلسفة العلمية التي كانت مسيطرة في زمانه.

2) **إيمانويل كانط**: إن فلسفة كانط النقدية غطت بتأثيرها الفكر الأوروبي عموما رغم ظهور الهيجيلية، وفي نهاية القرن التاسع عشر عرفت الكانطية عودة قوية إلى الساحة الفكرية الألمانية من خلال الاتجاه الجديد الذي عرف باسم الكانطية الجديدة (Néokantisme)[5]. ومن هنا قلّ ما نجد فيلسوفا أوروبيا لم يتأثر بفلسفة كانط. وأما هوسرل فإنه استعار من كانط بعض المصطلحات الأساسية لكنه أدخل عليها تغييرات تتماشى مع فلسفته، ومن أهمها نجد مصطلح المتعالي (Transcendantale) والظاهرة (Phénomène)، وإذا دققنا النظر في نظرية المعرفة كما هي في الفلسفتين نجد تعارضا بينهما، لأن كانت يؤسس إمكان المعرفة على مقولات الفهم والحدس، والتالي يتبنى موقفا عقلانيا خالصا، لأن هذه المقولات هي التي تصبح بها المعرفة ممكنة، في حين أنّ هوسرل يرى في إمكان المعرفة مسألة أخرى سيأتي شرحها لاحقا.

3) **فرانتز برانتانو** (1838-1917) (Franz Brentano) يعتبر هذا المفكر من أكثر الذين أثروا في فلسفة هوسرل ويعترف هذا الأخير بذلك عندما يذكره في مؤلفاته بعبارة "أستاذي"، وأهم ما أخذه منه مقولة "القصدية" التي تشكل محور الفينومينولوجيا التي ميزت فلسفة هوسرل. وكانت القصدية عند برانتانو مشكلة فلسفية أخذها من الفلسفة الوسيطية حيث اعتبر الوعي غير منفصل عن الموضوع الذي يتوجه نحوه وعينا، وعلى هذا الأساس يصبح الإدراك موحدا في إطار الثنائية (الذات – الموضوع) وبهذه الصورة يصبح الإدراك فعلا من أفعال الوعي وليس مجرد انتساخ الموضوع في الذات. وسيقوم هوسرل فيما بعد بالعمل شكل معمق حول فكرة القصدية لتبنى عليها كل فلسفته الفينومينولوجية، ما يجعلها تتحول إلى تصور رئيس في فلسفة هوسرل.

[5] وهو التيار الفلسفي الذي ظهر سنة 1870 وبقي حتى سنة 1910 ، وقد عرف اتجاهين أساسيين، مدرسة ماربورغ ومثلها ناتورب Paul Natorp ، وكاسيرر Cassirer، وايرمان كوهن Herman Cohen ، ومدرسة بادن ومثلها ويندالباند windelband، وهانريش ريكار Heinrich Rickert

ونظرا لأهمية الفينومينولوجيا كفلسفة جديدة كان لها التأثير الكبير على فلاسفة القرن العشرين خاصة منهم هايدغر (1889-1976) تلميذ هوسرل، والفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر (1905-1980)، يمكن القول أنّ الفينومينولوجيا كانت فلسفة النصف الأول من القرن العشرين، ومازال تأثيرها في عدة مجالات خاصة منها الفلسفة وعلم النفس قائما إلى يومنا هذا.

- **تعريف الفينومينولوجيا** :

إن كلمة "فينومينولوجيا" ظهرت في عصر الأنوار عندما بدأ استعمالها من طرف بعض الفلاسفة خاصة منهم كانط وهيغل، هطا الأخير الذي ألف كتابا من أهم كتبه وكان عنوانه "فينومينولوجيا الروح"، إلا أنّ المعنى الفلسفي المعاصر للفينومنولوجيا فيقصد به ذلك التيار الفلسفي الذي طوره الفيلسوف الألماني التشيكي إيدموند هوسرل (Edmund Husserl) الذي عاش ما بين (1859- 1938)، ولقد أحدث بذلك ثورة فلسفية لم يتأثر بها تلامذته فحسب بل وكذلك سمح هذا التيار ببروز أحدث التيارات الفلسفية في داخل ما يسمى بالفلسفة القارية، مثل الهيرمنيوطيقا الفلسفية أو الوجودية، حيث أنّ هيدغر ومارلو بونتي كانا تلميذا هوسرل وكذلك وجون بول سارتر درس كتاباته واستلهم منها فلسفته الوجودية.

- **المعنى الاشتقاقي**:

تتكون مفردة (phénoménologie) من الجذرين اليونانيين (phénomenon) و(logos) ، فينومن تعني ما يظهر أو ما يتمظهر بحيث يكون موضوعا للشعور أو الوعي، ولوغوس تعني دراسة أو علم، وبهذا فالمعنى الاشتقاقي لكلمة فينومنولوجيا، تحيل في دلالتها إلى مجال أو حقل ما هو ظاهر أو ما يتمظهر.

ولنفهم هذا التعريف نأخذ المثال التالي:

في سنة (1610) وبعد اختراعه للمنظار الفضائي لاحظ غاليلي الأقمار الأربعة لكوكب المشتري، إنّ صياغة هذا المثال تقودنا إلى التمييز بين الشيء الموجود في ذاته بغض النظر عن كوننا نعرفه أو لا نعرفه، لأن وجوده كشيء مستقل عنا وعن وعينا، لكن لما أصبحت أقمار المشتري معروفة بفضل اكتشاف غاليلي فإنها تحولت إلى ظاهرة (phénomène)، فهناك الموضوع الواقعي والموضوع الذي هو ظاهرة ماثلة أمام أو في الشعور كالموضوعات الخارجية الفيزيائية الأخرى والذات حالها، وهكذا يصبح معنى الفينومنولوجيا هو دراسة الكيفية التي يظهر أمامنا العالم وعندما نعطي له معنى ما، أو بمعنى آخر *الفينومنولوجيا تدرس كيف يكون العالم مشكلا لتجربة داخلية أو خبرة (expérience interne ou expérience vécue)*، وهنا لا يجب الخلط بين التجربة كخطوة من خطوات المنهج التجريبي والتجربة الداخلية أو التجربة الذاتية التي نفضل تسميتها بالخبرة المعيشية أو المعيش(Erlebnis) .

بعد هذا التوضيح الأولي لنا أن نضع الظواهرية كفلسفة وكمنهج في سياق الإشكالية الفلسفية التي أدت إلى تبلورها في المتن الهوسريلي.

4) سؤال الفلسفة عند هوسرل ومشروع البحث عن اليقين:

لا يمكن لأي فلسفة مهما كانت أن تقوم دون سؤال يحركها طيلة مسيرتها بغض النظر عن مختلف تعبيراتها وتمفصلاتها النظرية، وإذا كان السؤال الرئيسي عند ديكارت يدور هو البحث عن كيفية الوصول إلى معرفة يقينية خالية من الشك، وعند كانط كيف يمكن للمعرفة العلمية أن تكون يقينية وهي قائمة على التجربة وتتناول قضايا جزئية؟ فإنّ السؤال الذي حرك فلسفة هوسرل لا يبتعد كثيرا عن سؤال ديكارت، ولكنه لم يؤيد ديكارت في فكرة الكوجيتو أو "الأنا-أفكر"، ومن خلال القصدية التي أخذها من أستاذه برانتانو، فإن السؤال الذي شكّل وأسس الدهشة الفلسفية عند هوسرل هو: ***كيف نكون متيقنين من علاقة الشعور بالعالم***؟ أي كيف تكون القصدية (سيتم شرح هذا المصطلح لاحقا) حقيقة لا تقبل الشك خاصة إذا كان الشك خاصية من خصائص الشعور[6]؟ وعن هذا السؤال تتولد أسئلة أخرى حاول هوسرل العمل عليها قصد منح الفلسفة معنى آخر ومهمة أخرى تؤدي إلى بيان حقيقة الإنسان وحقيقة الشعور والعالم على حد سواء.

فلأجل تحديد معنى الفينومينولوجيا كفلسفة وكعلم دقيق بالمعنى العام الذي يتحقق من خلالها اليقين التام، كان لزاما عليه أن يزيل الغموض بين الفينومينولوجيا وما قد يشبهها خطأ، والمقصود هنا هو "علم النفس" لأن هذا العلم كان يعتمد في زمانه على المهج الاستبطاني(introspection) الذي يقوم أساسا على وصف الذات لأحوال الشعور. ومن هذه الناحية خاض هوسرل معركة فكرية جعلته يؤسس فلسفيا الفرق بين الفينومينولوجيا وعلم النفس، فأحوال الشعور كما تتبدى للاستبطان ما هي إلا موضوعات لنا وهي تشبه الموضوعات الخارجية، وفي كل الأحوال فهي موضوعات، فخشية الوقوع في التجريبية رفض الاستبطان من حيث هو مجرد وصف لموضوعات بينما كان يبحث عن اليقين الأصلي المباشر، وهطا لا يتحقق في نظره من خلال علم النفس الاستبطاني مادام يفتقد إلى القصدية باعتبارها فللا وليس مجرد تصال بالموضوع.

ومن جهة ثانية رفض الكوجيتو (الأنا أفكر) كما وضعه ديكارت، ورغم إعجابه الكبير بهذا الفيلسوف إى أنه رفض اليقين الذي كان ديكارت مقتنعا ومكتفيا به بحيث شكل مثله الفلسفي العلى، مؤكدا على أن كوجيتو ديكارت فارغ من كل مادة إدراكية ولا يحتوي على شيء لأن الوعي أو الشعور لابد أن يكون وعيا بشيء ما، وبدون هذا المدرك أو الموضوع يصبح مجرد كلمة بلا معنى، واستبدله بـ "الكوجيتو المعيش" أي ego cogito cogitatum بمعنى أنّ الذات تفكر دائما في شيء ما[7]، وهذا هو اليقين الأصلي الذي لا تنفصل فيه الذات عن الموضوع، فهو كذلك ليس من قبيل الملء أو البناءات العقلية كما جاء بها كانط.

وأما الجانب الثالث الذي عمل على تأكيده هو الرد على الكانطيين، فرغم الصدى الذي عرفته نظرية المعرفة عند كانط إلا أنها في نظره بقيت تحافظ على جوانب غامضة من خلال التمييز الكانطي بين الظاهرة والشيء في ذاته، فالجهاز المعرفي الذي بحوزة الإنسان يحتوى بهذا المنظور الفاهمة التي تحتوي على الشروط القبلية للمعرفة أو ما يسمى بالمقولات والخبرة التي تأتينا من الخارج، وعليه فمعرفتنا للأشياء تبقى مشروطة بمقولات الفهم، فنحن نعرف الأشياء كما تتبدى لنا وليس كما هي في الحقيقة، والكيفية التي تتبدى لنا الموضوعات الخارجية يسميها كانط بالظاهرة (phénomène) أما الأشياء في ذاتها (noumène) أو الأشياء كما هي في حقيقتها فإنها تنفلت للمعرفة ـ ويرى هوسرل أن هذا النومان هو الجزء الذي يبقى غامضا وبالتالي لا يلغي الشك بكيفية نهائية.

[6] Jeanne Hercsch, L'étonnement philosophique, Gallimard, 1993, pp 393-395.
[7] Jeanne Hercsch, L'étonnement philosophique, Gallimard, 1993, p 396.

انطلاقا من تحليله لهذه الجوانب الثلاثة تأكد هوسرل بأن مشروعه لا يمكن أن يبنى على هذه الفلسفات، فالفلسفة التي أرادها هي فلسفة كلية دقيقة مؤدية إلى اليقين وهذه هي الفينومينولوجيا.

4)تأسيس الفينومينولوجيا:

كان الغرض من المقدمات السابقة التأكيد على الجوانب العديدة التي يقوم عليها المشروع الفلسفي لهوسرل، لذلك تجنبنا الحوض المعمق في دلالات المصطلحات أو التصورات التي تؤسس للفينومينولوجيا، وما تم القيام به كان يستجيب لضرورة المدخل، وأما التطرق إلى ما تعنيه الفينومينولوجيا في حقيقة دلالتها يستلزم تتبع أعمال الفيلسوف حسب تسلسلها التاريخي، ولا يفهم من هذا أنّ هوسرل ليس من أولئك الفلاسفة الذين بنوا نسقا متكاملا له بداية ونهاية، فالكتابة الفلسفية الهوسرلية كانت في معظم أطوارها ظرفية تستجيب إلى السؤال وما يتبعه من توضيحات أو مناقشات فرضها النقد الموجه لأطروحاته الفلسفية، ففي هذا المقام نحاول الاعتماد على أهم المصادر التي نرى بأنها تعطينا صورة أقرب إلى الموضوعية حول الفينومينولوجيا.

- **معارضة الاتجاه الطبيعي في العلوم:**

إن تأسيس مشروع الفينومينولوجيا باعتباره فلسفة جديدة وصفها هوسرل على أنها "علما دقيقا"، اقتضى منه ممارسة نقد شامل للتصور الذي كان سائدا حول الإنسان وحول العلم، وخاصة حول كيفية تفسيرنا لإداركنا للعام الخارجي، هذا التصور عرفه باسم الاتجاه الطبيعي، الذي اشتهر بعد ظهور العلوم الطبيعية ونجاحها في اكتشاف قوانين الطبيعة، ولهذا السبب تم تعميمه على العلوم الإنسانية وحتى التصور حول الإنسان، فكان على العلوم الطبيعية أن تحاكي العلوم الطبيعية في المنهج وقيمة النتائج، وأما الإنسان لم يعد سوى امتدادا للطبيعة، خاصة مع شيوع التصور الداويني لتطور الكائنات الحية عموما والإنسان خصوصا، هذه النظرة المزدوجة لم يقبل بها هوسرل واجتهد على تفنيدها وتقديم بديل لها يندرج تحت عنوان "الفينومينولوجيا".

وأهم الانتقادات التي قام هوسرل بتوجيهها إلى الموقف الطبيعي نجدها في كتابه "الفلسفة علما دقيقا"[8] هذا الكتاب الذي يعرف كذلك بمقال العقل (Logos) بسبب نشره في مجلة اللغوس (Logos) سنة 1910-1011 واعتبره المختصون بمثابة الكتاب الذي يؤسس فلسفيا للفينومينولوجيا كفلسفة جديدة [9]. وأهم ما أورده من انتقادات للموقف الطبيعي يمكن حصره فيما يلي:

1) **النظرة الساذجة للطبيعة**: بالنسبة للمذهب الطبيعي[10] فإنه يكتفي بمعرفة العالم من جانبه المظهري الفيزيائي أو التاريخي، دون الولوج إلى حقيقته أو البحث عن معناه أو ماهيته، فالعالم موجود خارج الذات ويكتفي العلم بالتعبير عنه رياضيا ضمن علاقات منطقية، وهنا يشتد حدة نقد هوسرل إلى العلوم الطبيعية والإنسانية على حد سواء فيقول: ‹‹ وبحسب العادة الغالبة على كل من عالم الطبيعة وعالم الإنسانيات في فهم الأمور فإنّ عالم الطبيعة يميل إلى النظر إلى كل شيء على أنه طبيعة، وعالم الإنسانيات يرى كل شيء كما لو كان روحا، أو كأنه تاريخي، ومن ثم يميل كل منهما إلى تزييف معنى ما لا يمكن أن يرى على طريقته الخاصة. وعلى هذا فإنّ

[8] هوسرل الفلسفة علما دقيقا، ترجمة محمود رجب، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2002.

[9] انظر مقدمة المترجم ص 5.

[10] يقصد هوسرل بالمذهب الطبيعي ظاهرة ترتبت على اكتشاف ، أي الطبيعة منظورا إليها على أنها تشكل وحدة الوجود الزماني-المكاني وتخضع لقوانين طبيعية مضبوطة . هوسرل، الفلسفة علما دقيقا، ص 30

العالم الذي يقول بالمذهب الطبيعي – وهو الذي يهمنا الآن أخذ موقفه خاصة بعين الاعتبار- لا يرى شيئا سوى الطبيعة الفيزيائية.
فكل ما هو موجود إما أن يكون هو نفسه فيزيائيا ينتمي إلى الكلية الموحدة للطبيعة الفيزيائية وإما أن يكون نفسيا. غير أنه في الحالة الأخيرة لن يكون إلا مجرد متغير يتوقف وجود على الفيزيائي››[11]. هكذا كان أهم نقد وجهه إلى الموقف الطبيعي. والمهم الذي خلص إليه هو انعدام التساؤل على الكيفية التي تسمح بمعرفة حقيقة العالم فتصبح معرفتنا له ساذجة لا ترقى إلى حقيقته أو ماهيته التي هي هدف العلم الحقيقي، ما يجعل المعرفة تراكمية وليست ماهوية. وإذا كان هذا منطبقا على العلوم الطبيعية فإنه يبقى كذلك بالنسبة لعلم النفس التجريبي الذي يكتفي بدارسة الحوادث النفسية دون أن يدرجها في وحدة كلية تمثل الحياة ‹‹ فالنفسي لا يؤلف عالما قائما بذاته››[12]، وبناء على هذا التوصيف يصبح في نظر هوسرل إعادة النظر في الموقف الطبيعي من خلال إعادة النظر في نظرية المعرفة. ولا يجب أن نفهم من هذا النقد أنّ هوسرل يقلل من شأن العلم الطبيعي عموما، بل بالعكس يبقى العلم بالنسبة له المثل الأعلى الذي يتوجب على الإنسان الوصول إليه، وما رغبته في إنشاء فلسفة باعتبارها علما إلا دليل على الوقار الذي يكنه للعلم.

2) **نقد الفلسفات السابقة:** من أهم ما ورد في بداية كتاب "الفلسفة علما دقيقا" هو الموقف النقدي الصارم الذي أظهره هوسرل اتجاه الفلسفات السابقة التي اعتبرت نفسها علما دون أن تكون كذلك، حيث قال في هذا الصدد ‹‹إنّ الثورات الحاسمة بالنسبة إلى تقدم الفلسفة، إنما هي تلك التي يتم فيها هدم إدعاء الفلسفات السابقة أنها علم، عن طريق نقد طريق سيرها العلمي المزعوم. وعندئذ تنهض الرغبة الواعية تماما، لتنشأ من جديد وعلى نحو جذري، الفلسفة بالمعنى العلم الدقيق، موجهة ومحددة ترتيب المهام التي يتحتم علينا القيام بها ››[13] ، هذا هو إدا المشروع الذي حدده لنفسه، فهو مشروع مزدوج: من جهة بيان لا علمية الفلسفات السابقة، ومن جهة ثانية تعويضها بفلسفة جديدة ثورية تكون علما دقيقا. وفي هذا المضمار أشار إلى الفلسفات الكبرى التي عرفتها البشرية منذ سقراط وأفلاطون مرورا بالثورة الديكارتية ووصولا إلى فلسفة كانط و هيغل، كل هذه الفلسفات أثرت في الفكر البشري لكنها ورغم إدعائها بالعلمية فإنها لم تصل إلى السقف الذي حددته لنفسها، وتركت مفارقات ليست بالقليلة، والدليل على ذلك هو تفوق النزعة الوضعية على هذه الفلسفات من خلال ما حققته العلوم من نتائج باهرة.

3) **ضرورة بناء نظرية معرفة جديدة:** إنّ الموقف الطبيعي ورغم نجاحه الهائل على مستوى إنتاج المعرفة العلمية، فإنه لا يعيد النظر في نفسه وفي الكيفية التي بها وصل إلى هذه النتائج، ما يجعله من جهة متقدما على الصعيد التراكمي دون أن ينتبه أو يدرك الألغاز التي يتركها جراء مسيرته، لهذا السبب يرى هوسرل أنه لابد من إعادة النظر في تلك الألغاز من خلال إعادة بناء نظرية معرفة تأخذ بالحسبان علاقة الوعي بالوجود باعتبار الوعي كلا يشمل ويحتوي على جميع مكوناته التي تجعل منه وعيا كالإدراك والتخيل والتذكر والتمثل وكل هذا يظهر على هيئة

[11] هوسرل، الفلسفة علما دقيقا، م.م.س، ص 30.
[12] مقدمة كتاب الفلسفة علما دقيقا، م.م.س، ص 11.
[13] هوسرل، الفلسفة علما دقيقا، م.م.س، ص 27.

صور ذهنية وليس حوادث نفسية متناثرة. وأهم مأخذ يقدمه هوسرل حول الموقف الطبيعي أنه يتضمن ‹‹ جملة من الافتراضات غير الفينومينولوجية (...) وهي افتراضات ميتافيزيقية أحيانا وعلمية أحيانا أخرى ››[14] ومن هنا يكون مشروع هوسرل محاولة لإعادة النظر في الموقف الطبيعي وتصويبه حسب مقتضيات الفينومينولوجيا، وأهم جوانب هذا التصويب يتمثل في مناقشة ما كان يعتبر بديهيا ومسلما به وهو وجود العالم الخارجي ولا يحتاج إلى إثبات، زمن هنا فالمعرفة التي تمنح قيمة الحقيقة الموضوعية تقوم في الأساس على مسلمة مما يفتح المجال واسعا أمام حق التشكيك في صدقها، فالاعتبار الفينومينولوجي يضع على عاتقه ضرورة امتلاك المعرفة معارف لا يبلغها الشك، أي معارف بالمعنى الأتم ذات صدق ولا يكون في صدقها مدخل للشك [15].

أهم تصورات الافينومينولاوجيا الامتعالاية:

آن هذا العنوان يحيلنا إلى أهم ما تتركب منه الفلسيفة الفينومينولوجية عند هوسأييرل، ويحركه سأؤال أساسأي يتناول الكشف عن أهم التصورات التي من خللها عرضها يمكن القول أننا شكلنا فهما تقريبيا لهذه الفلسفة، فما المقصود بالفينومينولوجيا الهوسرلية وما هي أهم التصييورات التي تتأسأس عليها؟

- **الفينومينولوجيا (La phénoménologie)**

يقصد هوسأرل بالفينومينولوجيا علم البدايات الصحيحة والصول اليقين، ومادام مشروعه هو تحويل الفلسفة إلى علم دقيق، فإن الفينومينولوجيا تعني عنده ‹‹نقطة المنطلق التي لا تقبل الشك أبدا››[16]

أولا: وهكذا فإّن المقصود الأول لهذا التصور يعني الفلسفة التي سعى هوسأييرل إلى تأسأيسها واعتبرها بديل للفلسفات السابقة وكأذلك تجاوز للموقف الطبيعي الذي عمل على نقده.

ثانيا : المعنى الثاني الذي يرتبط بالفينومينولوجيا يضعها في مقام المنهج الجدييد الذي تتحدد به علاقة الذات بالموضوع، وهذا المعنى يتداخل تداخل قويا مع الأول كأنه المنهج الكفيل الذي يغير نظرتنا إلى العالم وما يحتويه من ظواهر جزئية تغير باستمرار، فالفينومينولوجيا بهذا المعنى الثاني هي بمثابة النشاط الشعوري الذي يكشف به الشعور عن حقيقته بعيدا عيين السذاجة التي كأان عليها الموقف الطبيعي وعلى أسأاس هذا المنهج أصبح هوسأرل يميز بين عالم الأشياء الطبيعية والشياء التي نتصل بها بالتجربة الحسية، وعيلم قيم وخبرات الخارج عن المكان والزمان المتشكل من الماهيات العقلية والحدس المباشر.

وبإدماج المعنيين نصل إلى أنه لا يمكن الفصل بين الفينومينولوجيا كفلسفة دقيقية والفينومينولوجيا كمنهج كون النتيجية التي يؤديان إليها تبقى واحدة وتتمثيل في القلع عن الموقف الطبيعي وتبني موقفا جديدا يمسح للنا/ الذات أن تنكشف لذاتها في إطار علاقتها بالعال الخارجي، ليصبح الذاتي هو الموضوعي بالمعنى الذي أرده هوسأر.

---

[14] انظر مقدمة كتاب فكرة الفينومينولوجيا ترجمة فتحي أنقزو، م.د.و.ع، بيروت، ص 9.
[15] انظر مقدمة كأتاب فكرة الفينومينولوجيا ترجمة فتحي أنقزو، م.د.و.ع، بيروت، ص 9.
[16] هوسرل، الفلسفة علما دقيقا، م.م.س، ص 27

4) القصدية (L'intentionnalité)

في خصوص هذا التصور المحوري للفينومينولوجيا يقول هوسرل:

« لاتعني كلمة القصجية شيئا آخر غير هذه الخاصية الأساسية والعامة التي يمتلكها الوعي ألا وهي أن يكون واعيا بشيء ما، وأن يحمل الوعي، باعتباره ذاتا عارفة، معرفة بنفسه»[17]، نفهم من هذا الكلام أن القصدية هل الحالة التي يكون الوعي عندما ينتقل بفعل ذاتي من معرفة الشيء الخارجي إلى معرفته بمعرفة ذلك الشيء الخارجي، فنحن أمام إدراك طي اتجاهين، الول نحو الموضوع الخارجي والثاني من الذات إلى ذاتها، فليس الموضوع الذي يفرض نفسه على الذات بل الذات عندما تعرف انها تعرف وبالتالي تقصد تلك المعرفة، طلك هو معنى القصدية عند هوسرل.

3) الردود الفينومينولوجية والتعليق أو اليبوخي (époché):

الرد الغينومينولوجي او الإيبوخي هو لحظة وعي متميزة تحدد معرفتنا بالعالم الخارحي، ومادام الموقف الطبيعي يتمز بأنه موقف ساذج وحتى لا واعي في نظر هوسرل، كونه يدرك العالم من خلاف الظاهرة كما هي في خارجيتها او موضوعيتها، فإن الإيبوخي (وهي كلمة يونانية الأصل تعني التعليق) ولأجل الكشف عن تلك العلاقة الخاصة مع العالم، فإنه يجب وضعها بين قوسين، وهطا التعليق-الاختزال الفينومينولوجي لايشبه الشك، فلا يتعلق الأمر كما هو الحال عند ديكارت بالشك في الحواس والعالم الخارجي، وإنما بتحويل النظرة او الرؤية وتوجيه الانتباه نحو الأشكال المختلفة لمعيش الوعي التي يتكون منها عالمنا وأن نطون منتبهين لنشاط الفكر عندما يستهدف ظاهرة ما[18].

---

[17] Edmond Husserl, *Méditations cartésiennes, introduction à la phénoménologie*, trad. Gabrielle Peiffer et Emmanuel Levinas, Paris, Vrin, 1966, p.32.

[18] مارك لوني مدخل إلى الفلسفة المعاصرة، ترجمة وتعليق وتقديم الزاوي بغورة، ابن النديم للنشر والتوزيع، طالطبعة الولى،2020، 93.